العرب
الثلاثاء 2021/09/07
السنة 44 العدد 12172

لوحات تشحن الخيال بواقع فقد كلّ ملامحه

السوري شفيق إشتي يحوّل الحلم إلى ملحمة تراجيدية بصرية

سحر الرقص مع الألوان

يُعدّ الفنان التشكيلي السوري شفيق إشتي الذي اجتمعت فيه الموهبة واقترنت فيه الحنكة الأدائية بسعة الخيال الجامح، أحد أهم فناني جيله، فهو يمثل بلوحاته المعاصرة ذات التجارب الأسلوبية واللونية، ثمرة طبيعية لمشواره الفني الطويل الذي استمر مخاضه أكثر من ثلاثة عقود في البحث والتجربة، لتكون المحصلة مزيجا سحريا بين العواطف واللون.

غريب ملا زلال
كاتب سوري

لا يمكن أن تتمالك ذاتك وأنت تعوم في بحار الفنان السوري شفيق إشتي (مواليد السويداء في العام 1958) وعوالمه اللونية، لا يمكن أن تبقى سائحا عابرا وأنت تجوب فضاءاته السحرية، بل لن تحافظ على توازنك مهما كنت واثقا من عمل الحفريات المعرفية فيك وفي ملامحك الحاملة لكل مفاتيحك وأنت مقبل على فتح صناديقه السوداء.

> إشتي يهتم بالجماليات التجريبية وبكيفية حدوث استجاباتها، مثيرا خصائصها المكسوة بالأسى والتنهيدات العميقة

لا يمكن ألاّ تتلوّن دواخلك بالغضب حينا، وبالقهر في حين آخر وبالعجز في أكثر الأحيان وأنت تقرأ ملحمة إشتي وتراجيديته، بخصوبة ملوناتها وسحرها، وبالصبغة المعاصرة لأشكالها وتكويناتها، وبالكم المتدفّق من مأساتها التي تقول معزوفته الخالدة عن آلامه الداخلية وآلام شعبه الداكنة بكل حركيتها ومحتواها.

فإذا كانت تلك الملحمة بوصفها لسان حاله ولغته المليئة بالارتفاعات والانخفاضات، المليئة بالمتاهات والتداخلات، بوصفها أداته الأكثر تعبيرا عن أشكاله الخاصة التي ستوحي بأحاسيس ما بين الطموح والكشف التي بها ستزداد قناعاته بأنه من الممكن توظيفها في توسيع دوائر فلسفته وذاكرتها، فهي قاموسه البصري بها يشحن الخيال بواقع فقد كل ملامحه.

تراجيديا غير معلبة

وحدها رؤى إشتي المليئة بالأوجاع بقيت قادرة على التقاط التلاحمات المقامية التي تثور منها تجاورات مبتكرة ويشعل أعواد ثقابها حتى تومض في المعابر كلها، فتولد تراجيديته بنماذجها غير المعلبة، والمنجزة بدقة متناهية حتى تتكامل بما يناسبها من مساحات رحبة ومفتوحة على التداخلات الإنسانية وتغييراتها بقيمها المعرفية، بخصائصها التعبيرية التي تكاد تفسّر وجود الحركات الحزينة وانكساراتها بديناميكية ترتبط بالرؤية وعلاقاتها بالتعبير وحالاته ضمن تصنيفات لها دلالاتها الرمزية بعد أن تخفي ما تحتاجه من تفاصيل وأحاسيس توزّعها بين كرّ وفرّ في دواخلها لتضعها في ما بعد كأساس حقيقي لذاتها المتحركة، ولداها بتحوّلاتها السريعة والتي ستشكل انتقالات غير آنية بل مركبة يدخل فيها أكثر من عامل بما فيها أبعادها الخاصة التي تحمل أحكامها الجمالية في عمق محدداتها اتساقا وتفضيلا.

وهذا ما يجعل منتجه حاضرا كأحد الكنوز الفنية التي لا يمكن تجاهله أو تركه في إحدى الزوايا مهملة، فالخصائص الشكلية لعمله وحدها كافية لحدوث فعل الحضور وفاعليته مع إبراز أهمية المعايير الفنية التي ينحاز إليها، إن كانت ما تميّز كائناته المتطوّرة التي تساهم في مقارناتها بالكائنات الأعلى تطوّرا، والتي ستؤثر في رسم فردانيته بالانتقال من سلوك يعكس توقعاته إلى سلوك استكشافي به يرتقي بمهاراته وقدراته والتي ستجعل تفضيلاته الجمالية خاصية مميزة له.

خاصية ترتبط بمفاهيم الخبرة لديه كعمليات مفترضة تسمح للشعور بالطغيان عليها، فالأمر هنا مستمد من التمعّن في التفكير الذي يجعل المرء ساعيا نحو مناطق الخطر لمواجهة التحديات الجديدة والإستمتاع بالانتصار عليها، والتي ستولّد نوعا ما من الإشباع الانفعالي.

كل تلك المشاعر التي يصعب التعبير عنها في الواقع يحوّلها إشتي إلى حالات خيالية تحقّق بعض حاجاته المهمة، وتفتك بمخاوفه المختلفة حتى يبلورها بوسائله المعينة والمخبوءة بين استثاراته وقيمها الإيجابية في البحث عنها وعن مظاهرها، أقلها عمليات الارتياح التي يحصل عليها، فهو الحالم الذي يحوّل الحلم والأشبه به إلى ملحمة تراجيدية بصرية.

معزوفات بصرية خالدة

يهتم إشتي بالجماليات التجريبية وبكيفية حدوث استجاباتها، وهو يثير خصائصها التي تتّسم بالإيجابية والمزدحمة بمستويات مختلفة، والمكسوة بالأسى والزفرات والتنهيدات العميقة.

وإذا ما حاولنا أن نفحص إستراتيجياته عن قرب فسنرى أنها تأكيدات حاسمة لفرضيات عليها تنطوي حضوره دون انتهاكات للذات، ودون الزعم بأن ما يحدث هي فصول يصعب فهمها، أو هي مفاتيح لإيماءات يعتقد بأنها قد تكشف النقاب عن ستائر دواخله بوصفها الدعوة الصريحة عن الكشف عن مكامن الألم دون أن يرتب النتيجة، وعليها فإنه ينسق اختلافاتها كمسائل في غاية الصعوبة، فما يتّضح في الحضور قد لا يتضح في الغياب، أو العكس، وما يظهر في الأسلوب قد لا يظهر في المضمون، أو العكس.

الفنان هنا ينسج ظلالا محتفظة بمفاهيمها الخاصة، وإن كانت مسكونة برؤية صارمة قادرة أن توعز التبعية لها، فالمسألة هنا هو التعامل مع الخصائص التي يعيد تحريكها بدافع جمالي وبما عليها من رموز، فيبدأ بتفكيكها وهذا سرّ من أسراره، ثم بطريقة ما يبدأ بجمعها من جديد وهذا سر آخر من أسراره بوصفه إحالات اختلافية من سلسلة تعطي لمشهديته تقييما عاما ومميزا، إن كانت بدلالاتها الاستبدالية أو بصورها المختلفة والعائمة بين الواقع المستغرق فيه والخيال المستيقظ فيه.

فينبغي عليه ألاّ يغفل هذه اللحظات بل عليه أن يقتفيها، لا هربا من متاهة قد يطلب منه صياغتها، وإنما أن يحاول الإمساك بخيوطها التي تشبه خيوط النسيج الموجود في ملحمته التراجيدية، حيث كل شيء فيها قابل للتساؤل والتوسّع فيها حتى تنساب من شبكة ألوانه وكأنها في هجران أبدي من صفحاته البيضاء، أقصد، من مساحاته التي باتت طرقا منها يتحسّس الممرات الكثيرة التي قد تخرجه إحداها إلى حيث الشمس المشع بالرماد والسواد.

> الخصائص الشكلية لعمل إشتي وحدها كافية لحدوث فعل الحضور وفاعليته مع إبراز أهمية المعايير الفنية التي ينحاز إليها

أعمال إشتي غير هادئة، بل صاخبة إلى حد الألم، ورغم ذلك فهي مشحونة بكم هائل من الطاقة التي تذهب بها وبتكويناتها الفائقة التركيب نحو ديناميكية هي التي ستمزج كل القوى النشطة فيها، بل ستمزج كل مستويات تركيباتها الفنية والتي ستتطلب بالضرورة وجود قدر كبير من الخبرة ولا يخلو ذلك عند الفنان السوري. فلشفيق إشتي باع طويل في ذلك بما فيها اعتماده على أصالة أحكامها الجمالية ضمن أنساق مختلفة لكل منها مظاهرها الخاصة، وانتماءاتها الخاصة، ومركزيتها الخاصة التي ستحمل ثقلها بلحنها الذي سيثير في حواسنا إمكانات الإحساس بالشكل وبالقدرة على إطلاق العنان للخيال، بلحنها الذي سيثير فينا كمّا هائلا من الانفعالات العاطفية التي ستكون مدخلا لتنشيط مجالات للاستمتاع الجمالي مع تحفيز كبير لعمليات التذوّق مع ظهور تنويعات مختلفة تتردّد على تحديداته البسيطة منها والمعقدة دون أي اتكاء على المعايير المألوفة.

لوحة تستحضر روح الأمكنة المدمّرة

العُماني علي الجهوري يُعيد تدوير المستهلك بإحساس جمالي

مسقط – يقدّم الفنان التشكيلي العُماني علي الجهوري تجربته الفنية بعمق الرؤية الفنية البصرية المُغايرة، فهو يسلك واقع الفن من خلال تجميع بقايا الحديد المُستهلكة وإعادة تدويرها بواسطة اللحام الحراري، ليخرج بها قطعة فنية مبهرة. هكذا عُرف عنه ومن معه ممّن أتقنوا فن التشكيل البصري الماديِ والملموس، فهو بلا شك يقدّم تلك الأفكار التي طرحها المذهب التشكيلي العالمي المعروف بـ"الفن الجاهز"، الذي يقوم على أساس توظيف الأشياء المُشكّلة طبيعيا أو المصنوعة من قبل الإنسان والتي عادة ما تُعطي دلالات ورؤى تعبيرية جديدة تأتي من خلال دمج مجموعة الأشياء في نطاق تشكيلات مبتكرة تتنافى مع الأشكال الوظيفية العادية التي وجدت من قبل لتظهر برؤية فنية معبّرة مختلفة.

والمتابع لسيرة الفنان الجهوري، يرى أنّه قد استمد تجربته من خلال تلك الأعمال والمشاركات الداخلية والخارجية، والتفاعل المباشر مع زملاء المسيرة الفنية. وللمهنة الوظيفية دور بالغ في ذلك مرورا بكونه عضوا في الجمعية العُمانية للفنون التشكيلية، وفاعلا مهما في مرسم الشباب، وعضوا مؤثرا في بيت فن صحار.

وعن علاقته ببيت فن صحار، يقول الفنان العُماني "في العام 2014 تأسّس بيت فن صحار ليكون الثمرة الرائدة لذلك الحلم بفضل الفنان النحات علي الجابري، ليكون أول مؤسّسة فنية خاصة بمدينة صحار تقدّم مجموعة من الخبرات وحلقات العمل والبرامج الفنية مع توفير مختلف الخامات والأدوات للفنانين".

ويصف الجهوري تجربته بدءا من تأثّر ذات الفنان بمحيطها الخارجي والمجتمع، فهو يُشير إلى أنّ البدايات لا بد أن تكون مواكبة لكل تأثير خارجي، ويعتبر حقيقة الفن على مرّ العصور مصدرا مهما من مصادر التوثيق الحضاري، يوظف من خلاله خبراته الفنية لتوثيق تلك الأحداث والقضايا المهمة.

وعن علاقته بالوسط الفني التشكيلي في السلطنة وعوامل الجذب إليه، وعن كيفية استطاعته إيجاد واقع فني خاص به من خلاله، يقول "لا بد للفنان أن يكون على اطلاع مباشر بالوسط الفني الذي ينتمي إليه، لما له من ثراء فكري ومعرفي، فالتعرّف على تجارب الفنانين يُكسب الفنان المزيد من الخبرات الفنية، والمعالجات والتقنيات والمعارف".

ويضيف "أعتبر التواصل مع الفنانين والمشاركة معهم في المعارض الفنية بمثابة مدرسة فنية أكتسب منها العديد من الخبرات، فعادة ما يكون الوسط الفني غنيا ومتنوّعا بمجموعة من الخبرات الفنية، التي لها تاريخ مُمتد عبر سنوات من الخبرة، كذلك هناك جيل من الفنانين الشباب يبشّر بمستقبل فني واعد، وهذا التنوّع يُثري الوسط الفني ليجعل منه بيئة جاذبة وغنية ومتنوّعة في الخبرات، وقد استطاع الفنان العُماني أن يشقّ طريقه بكل ثقة على المستويين المحلي والعالمي من خلال المشاركات العالمية في مختلف الفعاليات الفنية كالمعارض والبينالية والملتقيات الفنية".

وحول استطاعته إيجاد واقع فني خاص به، يوضّح "تفرّد أسلوبي الفني عن التجارب الفنية الأخرى من خلال الجمع بين التشكيل الفني المجسم وتوظيف الخامات الفنية المستهلكة والتجهيز بالفراغ، فالتجريد الفني سمة مميّزة لأعمالي الفنية المبنية على جماليات الخامة والمعالجات الفنية وما يحمله العمل الفني من مفاهيم وقيم جمالية وتعبيرية ورؤية فلسفية يستسيغها المتلقي العادي وأهل الاختصاص على السواء".

وبين الجهوري والفن الجاهز ارتباط وثيق، وفي هذا الشأن يكشف تلك العلاقة وماهيتها معه، وعن نتاجه الشخصي، حيث خصوصيتها على مدى السنوات الماضية، وهنا يُفصح الجهوري "امتزج أسلوبي الفني بين التشكيل الفني المجسم والتركيب أو ما يُعرف بالفن الجاهز من خلال توظيف مختلف الخامات الفنية ومن أهمها خامة الحديد والتي تتمّ معالجتها من خلال اللحام الحراري، كذلك توظيف الخامات الأخرى والتعامل معها بمختلف المعالجات الفنية كخامة الفورمكس والأكريليك والنحاس والريزن والنحت على الرخام".

علي الجهوري

> أحاول في أعمالي تقديم قيم جمالية ورؤى فلسفية يستسيغها المتلقي والناقد على السواء

ولعل السنوات العشر الأخيرة كانت من أهم المحطات التي استطاع فيها الجهوري بلورة أفكاره الفنية وصقل أسلوبه الفني وصولا إلى تجارب فنية ناضجة، فقد وظّف فيها خامة الحديد المستهلك في إنتاجات فنية حملت في طياتها مجموعة من القيم الجمالية والتعبيرية والنقدية للمتلقي.

وهو ما نتج عنه حصده للعديد من الجوائز في المعارض الفنية على المستوى المحلي، مثل الجائزة التقديرية للمعرض السنوي للجمعية العُمانية للفنون التشكيلية 2015، والجائزة الثالثة في النحت في المعرض السنوي للجمعية العُمانية للفنون التشكيلية 2018، والثانية في مجال النحت في المعرض السنوي للجمعية العُمانية للفنون التشكيلية 2019.

أما على المستوى الدولي فللفنان مشاركات مرجعية في العديد من المحافل المختصة، لعل أهمها مشاركته في الملتقى العُماني التونسي بمدينة صفاقس في العام 2016، والمشاركة في صالون موناكو الدولي للفنون بفرنسا في العام 2017، والمشاركة في بينالي ساريا الدولي للفنون بالعاصمة الإسبانية مدريد في العام 2018، وكذلك زيارة العديد من الحلقات الفنية في مدينة كرارا الإيطالية والاطلاع على تجارب النحت للفنانين في العام 2018 والتعرّف على الاتجاهات الفنية الحديثة وما وصل إليه الفنان على مستوى العالم من تقنيات وأدوات أسهمت في صقل خبراته الفنية والرقي بها، مع الإلمام بمختلف المعارف الفنية والفلسفية والتوجهات الحديثة وغيرها الكثير من المشاركات.

من المهمل إلى الثمين

سرديات جديدة من مواد قديمة